الفتاة وتدبير المنزل

من محاضرات السيدة لبيبه هاشم في الجامعة المصرية

جاء في مؤلف للسيدة بيتون الانكليزية في تدبير المنزل هذه العبارة « ان ربة البيت تشبه قائد الجيش فان روحها منبثة في جميع اطراف المنزل ومنظورة من الخدم فاذا اتمت واجباتها بالاتقان واحتفظت بالآداب العالية والسهر والانتباه تكون قدوة لخدمها فيحذون حذوها ويجتهدون في اتمام واجباتهم»

اجل ان سيدة المنزل مكلفة باعمال وواجبات لا مندوحة لها عن القيام بها سواء كانت فقيرة او غنية فعلينا ان نعلم فتياتنا تلك الواجبات منذ الصغر حتى لا يقصرن فيها في الكبر وعلينا ان نعودهن عيشة البساطة والنظافة وان لا ندعهن يؤجلن الى الغد ما يستطعن ان يفعلنه اليوم فان كل يوم يأتي فيه عمله فاذا اضفنا اعمال اليوم الى اعمال الغد نتج عن ذلك مضاعفة الاعمال وزيادة التقصير فيها واحسن واسطة تمكن الفتاة من الاعمال الكثيرة هي تقسيم الاوقات وتنويع الاشغال وبذلك تجد لكل عمل وقتاً وتتجدد فيها القوة لمتابعة الاعمال بمجرد التنقل فيها من شكل الى آخر

يجب ان نربي بناتنا على حب العمل ونغرس في اذهانهن وجوب القيام بالاشغال المنزلية والصناعات اليدوية

يجب ان ندربهن على تمريض المرضى وتربية الاطفال ودفع الاسقام عنهم فان من الخطأ ما كانت تعتقده الامهات قديماً من ان التحدث بتربية الاطفال معيب لدى الفتيات كما انه من الخطل ان تعتقد الفتيات ان الطبخ غير لازم الا للفقراء منهن فانه مهما توفرت اسباب الغنى للفتاة وكثرت لديها فلا بد لها من معرفة فن الطبخ حتى تتمكن من معرفة موضع الخلل في صنع الطعام وتنبيه الطهاة الى اصلاحه والا اضطرت لان تكون اسيرة بذوقها للخدم خاضعة لاميالهم فيما تكره

فعلى الامهات ان يوجهن جل عنايتهن الى تدريب بناتهن على الطبخ وسائر الاشغال المنزلية والواجبات البيتية وبذلك يؤهلن لان يكن ربات اسر ومديرات بيوت

اما التي ترتفع عن الاعمال انفةً منها او كسلاً فانها تكون عالة على زوجها بل حملاً ثقيلاً يضايقه فوق ما يتحمله من مسؤولية الاسرة واعالتها وضمانة مستقبلها اذ يضطر لان ينفق على الخدام والمراضع والمربيات والطهاة والخياطات ما يكفل حفظ نظام المنزل كأنما

هو خلق ليقوم بواجبات الرجل والمرأة معاً وفي ذلك ما فيه من الحيف ومخالفة الاحكام العقلية والطبيعية فضلاً عن ان الخدم مهما كثر عددهم فهم لا يقومون مقام ربة البيت من حيث النظام والترتيب والاقتصاد

كان لاحد سراة الشرقيين ابنة يحبها و يبالغ في رفاهيتها ولم يكن يسمح لها في دخول المطبخ عَلَى الاطلاق فكانت نتيجة ذلك انها ذاقت مع زوجها بعدئذ انواع العذاب والتعب لجهلها فن تدبير المنزل وعَلَى الخصوص صناعة الطبخ فكان زوجها كلما اراد اصلاح خطأ الطاهي يذهب الى اصدقائه فيستفهم من نسائهم عن افضل الطرق لذلك ثم يعود وهو يعض شفاهه حسرةً والمأ مما يجده في نظام البيت من الخلل وما يتحمله مرغماً من ملاحظة الخدم وضبط حساب النفقات عَلَى ان الحال لم تطل به كثيراً بَلَى هذا المنوال لانه بعد سنوات توالت اصيب بالافلاس فكان ذلك عقاباً لتلك الزوجة وعبرة لسواها من النساء

ولو ان المرأة تستفيد من هذه الرفاهية التي يضحي الرجل حياته في سبيلها و يعرض ماله للضياع من اجلها لهان الامر ولكنها تضر بجسدها وعقلها فتضعفهما وتسقمهما وتحط من قدرها في اعين افراد اسرتها اذ تكون بمنزلة صفر عن يسار عددهم

ومما يحسن ان تتمرّن الفتاة عليه وضع الشيء في محله فان كثيراً من الآنية الثمينة والرياش الجميلة ودواعي الزينة قد تفقد قيمتها وتذهب العين عنها لمجرد وضعها في غير المحل المناسب لها . وأهمّ ما يجب اتباعه في تدبير المنزل هو الاقتصاد فالى احد أدباء الانكليز — ان المال لا يجلب السعادة للانسان ولكن السعادة لا تأتي بدونه فعليك بالاقتصاد

أجل يا بنيتي ان المال لازم للانسان بل هو أهم ركن من اركان حياته اذ يتمكن بواسطته من نيل أهم رغائبه ولا سيما في عصرنا الحاضر الذي زادت فيه النفقات الى حد لا بد منه في شرع التمدن وما يتبعه من دواعي الزينة والرفاهة والبذخ والاسراف وافضل وسيلة لاحراز المال هي الاقتصاد واسهل واسطة الاقتصاد هي ان يستغني المرء عن اشياء كثيرة شوهد يوماً شيخٌ حكيم يسير في حافلة يا لحلي الثمينة والتحف النادرة وهو يتنقل نظره من حانوت الى آخر فسأله احد اصدقائه عما اذا كان يرغب في شيء منها اجابه بالنفي — اني أنظر لارى كم يوجد من امتعة واشياء لا أحتاج اليها

ولا غرو ان في عبارة هذا الحكيم لعبرة يتبين لنا منها ان كثيراً من الامور التي نبذل المال في سبيل احرازها يمكننا الاستغناء عنها مثل انواع الزينة والملابس والانفاق عَلَى المآدب والرسميات وغير ذلك من الامور التي لا يضر اجتنابها بل قد يكون منه فوائد ادبية

فضلاً عن الفوائد المادية على انه يوجد بين النساء من اذا تولت امر النفقة تجهد في التقتير على اسرتها فتمنع ما هو لازم لحياتهم وصحة اجسادهم فتضرُّ بهم من حيث تقصد توفير بعض دريهمات قد تضطر لان تنقدها يوماً للاطباء والصيادلة ومن ذلك يتضح ما على السيدة من دقة الملاحظات ومراعاة الواجب في كيفية الاقتصاد

وقد تظن بعض النساء ان اتباع خطة الرجل بالاسراف من جملة الضروريات او من موجبات الانتقام وقد يعتذرن احياناً بقولهنَّ : لمَ لا ننفق على انفسنا ونعيش في سعة ما دام المال ذاهباً من ايدي رجالنا في كل حال

اجل ان لهن بعض الحق في ذلك ولا سيما اذا كان رجالهنَّ ممن يتولون امر الانفاق ولا يدعون لنسائهم سبيلاً لتدبير المعيشة بما يمكن معه التوفير . فافضل ما تداوى به مثل هذه الحال هو ان تقنع المرأة زوجها بأي الوسائل الممكنة ان يجعل لها راتباً شهرياً وحينئذ تتمكن من تدبير معيشتها بشكل يضمن راحتها ويحفظ لها من فضلات المال درعاً يقيها شر العوز والفاقة

وافضل وسيلة لاقناعه بذلك هي ان تحافظ المرأة على الدراهم التي تصل الى يدها وتتدبر في امر انفاقها بحكمة اذ تجعل في زوجها ثقة بحسن تدبيرها واقتصادها ومن ثم لا يبخل عليها بالمال ولا يتأخر عن تسليمها راتباً كافياً تنفقه بحكمتها على البيت والاسرة

والاقتصاد واجب مقدس على ربة البيت يدعوها مركزها الطبيعي للقيام به فاول ما يجب ان توجه اهتمامها اليه هو ان تجعل معيشتها في درجة معادلة لحالة زوجها المادية فلا تجهد نفسها عبثاً بمجاراة من هنَّ اوفر منها غنىً واكثر بذخاً لكي لا تضطر بسبب ذلك الى التقتير على اهل منزلها فان الظهور بمظهر موافق لحالتها المادية مع النظافة والآداب لافضل كثيراً من التلبس بالجاه الكاذب الذي يعود على صاحبته بالتعب الكثير والخراب العاجل

على اننا لو تبصرنا قليلاً لرأينا في الاعتدال جمالاً لا يقاس بالجمال الظاهري مهما بولغ في اتقان الزينة ولبس الحلي والحلل فاذا ما رأت السيدة ابتسامة الارتياح والشكر مرسومة على شفاه زوجها وادركت ما لها عنده من المنزلة السامية والثقة التامة تشعر بانها حاصلة على سعادة لا يمكنها ان تنالها من البذخ والزينة مهما اكثرت منهما . ومتى ادركت السيدة هذه الحقيقة فقد اجتازت مرحلة كبيرة نحو الاقتصاد المنزلي وسهلت لبنيها وسائل الصحة والعلم والرفاهية مع حفظ نظام المعيشة وتوطيد الثقة الزوجية وذلك بتضحية قليل من رغائب النفس التي لافائدة منها

وهناك أمر آخر واجب على السيدة القيام به وهو ان تعمل بنفسها ما يمكنها ان تستغني به عن مساعدة الغير ولا يكفي ان تشتغل فقط لمجرد التسلية بل يجب ان تفضل من الاشغال ما يخفض من اعباء النفقات فلا تشتغل مثلاً بتطريز مخدة وتستأجر الخياطة لعمل قميص ابنها ولكن اذا أتمت الاشغال اللازمة لاسرتها فلا بأس من ان تلهو بما يحلو لها من الفنون الجميلة والاعمال الآيلة الى ترتيب المنزل وتزيينه فان هذه من الكماليات التي على حسنها ولزوم وجودها في المنزل ليست الا ثانوية بالنسبة للضروريات

والآن تسمحن لي ايتها السيدات ان ادخل وايا كن الى المطبخ فنبحث فيما يتعلق به بوجه الاختصار وعلى قدر ما يسمح لي المقام لان المطبخ على ما يبدو لنا من صغره وحقارة منظره يستغرق من البحث ما لا تكفيه محاضرة او محاضرات بل هو مما يستغرق المجلدات

قال بسارك : اني لا استحسن السيدة في حال مثلها وهي في المطبخ ومعلوم ان ذلك الرجل العظيم لم يقصد بقوله انه يرتاح لمشاهدة السيدة وهي تفصل الطباق والحلل بل ان يراها عاملة على ملاحظة مطبخها ومعاينة كلما يصنع فيه من الطعام وسواء كانت هي التي تشتغل بيديها او لديها الخدم والحشم فلا بد لها من مراقبة جميع معداته واحصاء نفقاته والتمييز في المواد التي يبتاعها الطهاة ومعرفة اثمانها ووزنها

كانت احدى السيدات الموسرات تشكو دائماً من كثرة النفقات في منزلها مع عدم وجود الراحة التامة في نظامه فسمعها يوماً احد اصدقائها وهو من الرجال الحكماء فوعدها بان يجد لها وسيلة فعالة لمداواة تلك الحال . وعليه احضر لها علبة صغيرة من خشب الابنوس لطيفة الصنع خفيفة الوزن وقال لها احملي هذه في كل صباح وطوفي بها غرف المنزل وكراره ومطبخه ومتى انتهيت من ذلك عودي الى سابق معيشتك في هذه العلبة سر لا يباح لك الاطلاع عليه الا بعد مرور عام كامل من هذا اليوم وهو يضمن لك نظام المنزل واقلال النفقات

ففعلت المرأة ما اشار به هذا الحكيم فاستقامت امورها وخففت نفقاتها الى حد الثلث ولذلك تاقت نفسها كثيراً الى ما تحويه تلك العلبة فما صدقت ان انقضى العام حتى فتحتها ونظرت فاذا في داخلها ورقة صغيرة كتبت فيها العبارة الآتية

(من واجبات ربة البيت ان تهتم بتدبير المنزل بنفسها) هذا كل ما في العلبة على ان السر الحقيقي لم يكن في العلبة بل في طواف السيدة في المنزل لانها بذلك كانت تلاحظ

تقصير الخدم فتنبههم الى واجباتهم وترى بعينها كلما يأتي به الطاهي فلا يستطيع بعد ذلك ان يخادعها بالحساب او يقيد ثمن شيء لم يبتعه في ذلك اليوم

وقد تدهش يا سيداتي اذا قلت لكن ان كثيراً من الامراض التي تنتاب العائلات وتضر باجسامهم تنأتى عن بقايا اللحم القليلة التي تعلق في خشب الكرسي او اللوحة التي يستعملها الطباخ لتقطيع اللحم ثم لا يعنون في غسلها جيداً فاذا ما لمست اللحم الجديد افسدته وجعلته مضراً بآكليه وهكذا الخضار التي توكل بدون طبخ كالخس والفجل وخلافه فانها كثيراً ما تحمل جراثيم الحمى وغيرها من الامراض فتفتك بآكليها اذا لم يبالغ بغسلها جيداً

اتفق لي ان قرأت مقالة لاحد الاطباء في اميركا يبين فيها ان اسباب الاصابة بالدودة الوحيدة هي اكل الخضار النيئة في حالة القذارة وذلك ان دم الخنزير قابل لنمو هذه الدودة وهي قلما يخلو منها هذا الحيوان ومعلوم انه متى وجدت جراثيمها في الدم لا بد ان تظهر في البراز ايضاً بحيث انه متى رعت الخنازير مكاناً تركت فيه اثراً من برازها ممزوجاً بجراثيم الداء فاذا جاء وقت استنبات الخضار ظهر عليها شيء من تلك الجراثيم تحملها اوراقها النضرة وتنقلها الى المعد

ومع ذلك فكم نرى من النساء من تشاهد ولدها يأكل الخس من البائع مباشرة بدون غسل فلا تنهاه بل هي اذا قيل لها في ذلك تجيب (خليه يتعود) ولكن بربكن اين وجه الفضل في تلك العادة حينما تجرع الام ولدها بيدها كاس الاسقام مترعة بالمكروبات القتالة وتسوقه بجهلها الى ساحة الموت التي هيهات ان ينجو منها ثم تقول (خليه يتعود)

وعلى الجملة فان الفتيات قلما يدركن ماهية العناية الصحية والواجبات البيتية فيستخففن بها زاعمات انها ليست من الامور التي يجب ان يعبأ بها وانه يكفي ربة البيت ولا سيما الموسرة ان يكون لديها وصيفة امينة توكل اليها ادارة اعمال المنزل وملاحظة الخدم والمطبخ وفاتها ان كثرة الخدم تستدعي زيادة اهتمام السيدة ويقظتها لان الخطر منهم يصبح اشد وسبل الخيانة والسرقة اوسع

ولا يكفي الفتاة ان تكون عارفة بالاعمال البيتية بل ان الذوق والمهارة من اول واجباتها وهذا ما يمكنها اكتسابه بالاختبار والمطالعة ومعاشرة فضليات النساء